مكتب جرير للتفريغ
محمد الشرقاوي
00201111633967

منظومة في علامات صحة القلب

شرح الأستاذ الدكتور الشيخ
عبد الرزاق البدر

الشرح الثاني

المجلس: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم: لا علم لنا إلا ما علمتنا، اللهم: علمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

أما بعد،.

فأولًا وبادئ ذي بدء: فإني أشكر لدائرة الأوقاف السنية على الترتيب لهذا اللقاء، والتهيئة لهذه الدورة، في هذه المنظومة النافعة الماتعة المفيدة للإمام الشيخ ابن سحمان -رحمه الله تعالى-، كما أني أيضًا أشكر الإخوة الكرام حضورهم وحرصهم ورغبتهم في الخير، وأسأل الله عز وجل أن يبارك لنا أجمعين في مجلسنا هذا، وأن يمن علينا فيه بالعلم النافع، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أيها الإخوة الكرام: لقاؤنا هذا مذاكرة لمنظومة نافعة، ومفيدة في باب إصلاح القلوب وتزكيتها، والعمل على تنقيتها وسلامتها، وبيان العلامات التي تدل على صلاح القلب واستقامته، مع ذكر لمشاهد عظيمة ينبغي للعبد أن يشهدها ليزكو قلبه بشهودها، ثم من بعد ذلك بسط لمعتقد أهل السنة والجماعة الذي هو الأساس لزكاء القلوب وصلاحها، بل إن القلوب لا تزكو ولا تصلح ولا تكون سليمة إلا بالاعتقاد الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وقال الله عز وجل: {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، قال العلماء: أي سليم من الشرك والشك. الشرك بالله، والشك في الاعتقاد ودين الله، مع السلامة أيضًا من الإصرار على البدع والمعاصي، فالقلب السليم هو السالم من ذلك كله، وبذلك نعلم أن صلاح القلب بالعقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أساس لا بد منه في سلامة القلوب

وصلاحها؛ إذ إن القلوب لا تصلح ولا تكون سليمة مستقيمة على الجادة وصراط الله المستقيم إلا إذا كانت على اعتقاد صحيح سليم مستمد من كتاب الله وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا: أورد الناظم -رحمه الله تعالى- في هذه المنظومة شيئًا من البسط والبيان لعقيدة أهل السنة والجماعة باعتبارها الأساس لصلاح القلوب وزكائها واستقامتها، ولما كانت هذه المنظومة للإمام ابن سحمان -رحمه الله تعالى- كان من المناسب بين يدي مذاكرتها ومدارستها التعريف بشيء من حياته وترجمته -رحمه الله تعالى- بشيء من الاختصار.

التعريف بصاحب المنظومة:

ناظم هذه المنظومة -رحمه الله تعالى- هو العلامة الشهير صاحب المصنفات الكبيرة والمؤلفات العديدة، وصاحب الفضائل المشهورة، والمحاسن المتعددة، المعروف بحَسّان زمانه، وشاعر عقيدة السلف الصالح في وقته، المجاهد بنثره ونظمه -رحمه الله تعالى-، والمنافح بجهده وبيانه عن عقيدة السلف -رحمهم الله- ألا وهو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان الخثعمي العسيري النجدي الحنبلي.

مولده:

وهذا الإمام العلم ولد في قرية يقال لها: السقا. من قرى أبها، عام ألف ومائتين وست وستين من الهجرة النبوية(١٢٦٦هـ).

نشأته:

نشأ -رحمه الله تعالى- نشأة طيبة صالحة في بيت علم وتدين، فنشأ في أحضان والده الشيخ سحمان -رحمه الله-، وكان والده رجل فاضلًا من حفظة كتاب الله تبارك وتعالى وطلاب العلم، فاعتنى بابنه عناية طيبة، وأقرأه كتاب الله عز وجل حتى ختمه، ثم أخذ معه يلقنه مبادئ العلوم.

شيوخه:

في سنة ألف ومائتين وثمانين للهجرة (١٢٨٠ هـ)، رحل والده سحمان من عسير إلى الرياض، وكان ذلك في زمن الإمامين: الشيخ عبد الرحمن بن حسن، حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -

رحمه الله تعالى- صاحب كتاب: (فتح المجيد) و(قرة عيون الموحدين)، وابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، فابتدأ الشيخ سليمان في القراءة على الشيخين، الشيخ عبد الرحمن بن حسن، وابنه عبد اللطيف، ولازمهما ملازمة تامة، واستفاد منهم فائدة عظيمة.

ثم بعد ذلك انتقل مع والده الشيخ سحمان إلى بلدة من بلدان الأفلاج بنجد، وشرع في القراءة على الشيخ حمد بن عتيق، ولازمه سبع عشرة عامًا.

مرضه:

وفي عام ألف وثلاثمائة وواحد وثلاثين (١٣٣١ هـ) طرأ عليه العمى، وأصيب بذهاب البصر، فبعثه الملك عبد العزيز -رحمه الله تعالى- لعلاج عينيه في هذا البلد الذي نحن فيه الآن، بعثه إلى البحرين سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وثلاثين (١٣٣٢ هـ)، ولم يقدر في تلك الرحلة شفاء، فبقي مكفوف البصر إلى أن توفاه الله تعالى، ولكنه عاد -رحمه الله تعالى- إلى التأليف والتحقيق والنظم والدفاع عن عقيدة أهل السنة والرد على رؤوس أهل الباطل، والذب عن حمى هذا الدين، عاد إلى ذلك بنشاط، فكانت حاله في التأليف والنظم، والانتصار لعقيدة السلف قبل فقده لبصره وبعد فقده لبصره على حد سواء في همة عالية ونشاط متواصل.

مؤلفاته:

وله رحمه الله تعالى مؤلفات كثيرة جدًا منها: (الضياء الشارق)، و(الهدية السُّنية)، و(تبرئة الشيخين)، و(منهج أهل الحق والاتباع)، و(إرشاد الطالب)، و(الصواعق المرسلة)، وله (ديوان) يجمع كثيرًا من شعره وهو مطبوع.

وفاته:

توفي -رحمه الله تعالى- في العاشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وتسع وأربعين (١٣٤٩ هـ) من الهجرة -رحمه الله تعالى- عن عمر ثلاث وثمانين سنة تقريبًا، غفر الله له، ورحمه، وأسكنه فردوسه الأعلى، وجزاه عنا وعن أمة الإسلام خير الجزاء.

لطيفة:

من اللطائف التي أشير إليها: أن مجيئه إلى البحرين كان في عام ألف وثلاثمائة وواحد وثلاثين (١٣٣١ هـــ)، ونحن الآن في عام ألف وأربعمائة وأربع وثلاثين (١٤٣٤ هـــ)، أي مضى على ذلك مائة سنة وقليل، ففي ذاك اليوم قبل مائة عام وأزيد بقليل جاء للعلاج، وفي هذا اليوم جاءت منظومته النافعة يجتمع عليها طلاب العلم هذا الاجتماع، فلله الحمد أولًا وآخرًا، وله سبحانه وتعالى الشكر ظاهرًا وباطنًا، نسأله جل في علاه أن يوفقنا أجمعين للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب، ونشرع الآن في مذاكرة ومدارسة هذه المنظومة.

*** المتن ***

{الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: ٤٣].

أما بعد،.

فقد اشتملت هذه المنظومة على ستة مشاهد، ذكرها العلامة ابن القيم –رحمه الله– في (إغاثة اللهفان) في علامة صحة القلب، وختمت ما ذكره الشيخ بذكر ما عليه أهل السنة والجماعة من الاعتقاد.

*** الشرح ***

بدأ –رحمه الله تعالى– بهذه المقدمة وهذا الاستهلال الذي أراد من خلاله أن يوضح مقصود هذه المنظومة، ويبين ما احتوت عليه، ومحتوى هذه المنظومة هو عبارة عن فوائد ثمينة وعظيمة وقف عليه –رحمه الله تعالى– في كتاب: (إغاثة اللهفان) لابن القيم، ولا سيما في الفصل العاشر منه؛ لأن كتاب (إغاثة اللهفان) للإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى– مقسم على فصول، وفي الفصل العاشر تحدث ابن القيم –رحمه الله تعالى– عن علامات صحة القلب، وفي خاتمة ذكره لعلامات صحة القلب تحدث عن هذه المشاهد الستة التي أشار إليها الشيخ، والمطلوب من العبد أن يشهدها ليتم له صلاح قبله، وزكاء حاله، وتتم له أيضًا عبوديته لله سبحانه وتعالى، فلما وقف –رحمه الله– على تلك الفوائد العظيمة التي هي

علامات ذكرها ابن القيم لصحة القلب، وأتبعها بتلك المشاهد، نظمها ابن سحمان -رحمه الله تعالى- في هذه المنظومة، ثم وُفق توفيقًا عظيمًا بأن ختم ذلك بعقيدة أهل السنة والجماعة، إشارة منه إلى أن صلاح القلب وسلامته واستقامته لا تكون إلا بكونه منطويًا على العقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قوله: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}: حمد الله في هذا الاستهلال مستشعرًا منة الله جل وعلا بالهداية والتوفيق، فالهداية منّة إلهية، وهبة ربانية، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحجرات: ٧، ٨]، قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ} [النور: ٢١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي مستهل أيضًا هذا اللقاء نحمد الله جل في علاه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لهذا لولا أن هدانا الله، ونسأله عز وجل أن يرزقنا في مجلسنا هذا العلم النافع، وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

*** المتن ***

بحمد الله نبدأ في المقال * وذكر الله في كل الفعال**

فذكر الله يجلو كل همّ * عن القلب السليم على التوالي**

*** الشرح ***

بدأ -رحمه الله تعالى- هذه المنظومة الماتعة النافعة بحمد الله، وحمد الله سبحانه وتعالى هو الثناء عليه مع حبه جل وعلا.

قوله: بحمد الله نبدأ في المقال: أي نبدأ مقالنا هذا حامدين لله، شاكرين له، مثنين عليه، معترفين بمنّه ومده وتوفيقه وفضله سبحانه وتعالى.

قوله: وذكر الله في كل الفعال: أي كما أننا نبدأ المقال بحمد الله تأسيًا بكتاب الله، وتأسيًا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنا كذلك نبدأ بذكر الله في كل الفعال، ففي كل الفعال نعتني بذكر الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا البيت جمع -رحمه الله تعالى- بين الحمد والذكر، وقد جُمع بينهما في قوله سبحانه وتعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، جمع سبحانه و تعالى بين الحمد وبين الذكر، وهذان هما مبنى الدين الإسلامي؛ لأن مبنى دين الله تبارك وتعالى على قاعدتين:

الأولى: الذكر لله سبحانه وتعالى.

الثانية: الشكر له جل وعلا.

وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل: (والله: إني لأحبك، فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم: أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)، فجمع بين هذين الأمرين: الذكر والشكر.

وذكر الله سبحانه وتعالى مستلزم لمعرفته جل وعلا، وشكره متضمن لطاعته، قد قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً} [سبأ: ١٣]، والمعرفة والطاعة هما الغاية التي خلق الخلق لأجلها وأُوجدوا لتحقيقها؛ لأن الغاية التي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لأجلها، وأوجدهم لتحقيقها هي العلم والعمل، ولهذا قال العلماء –رحمهم الله تعالى-: التوحيد نوعان: توحيد علمي، وتوحيد عملي. وهذان التوحيدان هما الغاية من الخلق، دل على الأول قول الله سبحانه وتعالى في آخر سورة الطلاق: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} [الطلاق: ١٢]، ودل على الثاني قول الله سبحانه وتعالى في أواخر سورة الذاريات: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، فالآية الأولى خَلَقَ للعلم، والثانية خَلَقَ للعبادة، فالتوحيد نوعان: علم وعمل، وهذا البيت الأول من هذه المنظومة جاء في استهلاله منتظمًا لهذين الأصلين العظيمين اللذين عليهما مبنى دين الله تبارك وتعالى، أو يقوم عليها بناء الدين.

ثم قال -رحمه الله تعالى- مبينًا فضيلة الذكر وعظيم شأنه وكبير فائدته.

قوله: فذكر الله يجلو كل همّ عن القلب السليم على التوالي: وهذه فائدة أشار إليها -رحمه الله تعالى- من جملة الفوائد التي تستفاد من الذكر، وهو أنه جلاء للقلب السليم، الذي هو القلب النافع، {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ} [الشعراء: ٨٨]، وهو السالم من الشرك ومن الشك ومن الإصرار على البدع والمعاصي، فذكر الله جلاء لهذا القلب، فيعمل عملًا مستمرًا على تنقيته هذا القلب وتزكيته، وإزالة ما يعلق به من أوساخ بين وقت وآخر، فذكر الله جل وعلا المستمر جلاء للقلب، يجلو كل هم عن القلب، والقلب كما بين أهل العلم -رحمهم الله تعالى- يصدأ كما يصدأ النحاس وعموم المعادن، وجلاء ذلك ذكر الله سبحانه وتعالى، فإن الذكر يجلو القلب ويجعله كالمرآة البيضاء النقية الصافية الناصعة.

قوله: يجلو كل هم: يعني كل الأمور التي تعلق بالقلب، إنما يكون للقلب السليم الذي تعلق به بين وقت وآخر أشياء تحتاج إلى أن تبعد عن القلب وأن ينقى القلب منها وتكون التنقية للقلب بذكر الله.

قوله: على التوالي: هذا تنبيه على أهمية الاستمرار على ذكر الله سبحانه وتعالى؛ لأن القلوب لا تزال ترد عليها الواردات، وتدخل عليها الدواخل، فيحتاج العبد حاجة مستمرة متوالية متتالية لعملية التنقية للقلب، وتكون التنقية بالإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى في كل وقت وحين، وكان نبينا عليه الصلاة والسلام يذكر الله في كل أحيانه، أي قائمًا وقاعدًا وعلى جنب، قال الله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

*** المتن ***

فللقلب السليم إذا تزكى *** علامات هنالك للكمال
علامات لصحة كل قلب *** سليم عن مداخلة الضلال
علامات ذُكِرْنَ بكل نثر *** عن الأعلام واضحة المنال
ولكني نظمت لها نظامًا *** بها أرجو التنافس في الفضال
مع الإقرار بالتقصير فيها *** وذكر للعقيدة في المقال

*** الشرح ***

هذه الأبيات يذكر -رحمه الله تعالى- فيها أن القلب السليم إذا تزكى وكتب الله سبحانه وتعالى له الزكاة فإن لذلك علامات تدل على زكاء القلب ونقائه، وهذه العلامات إذا رآها العبد من نفسه، أو وجدها من نفسه فإنه يستشعر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه بالهداية والتوفيق لكنه لا يزكي نفسه ولا يجزم بصلاحها، كما قال الله سبحانه وتعالى: {فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: ٣٢]، لكنها علامات ودلائل على نقاء القلب وسلامته.

قوله: فللقلب السليم إذا تزكى علامات هنالك للكمال: أي أن السلامة إذا وجدت في القلب وتزكى القلب لها علامات ودلائل، وزكاء القلب يتناول أمرين:

الأول: طهارة القلب من الأوساخ والأدناس.

الثاني: نماء القلب بتزايد الخير فيه. وفي الدعاء المأثور: (اللهم: آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها).

قوله: علامات لصحة كل قلب سليم عن مداخلة الضلال: وهذا توضيح للسلامة ما المراد بها؟ فإذا قيل: ما هو القلب السليم؟. يأتي هنا هذا التعريف الجميل المختصر، وأن القلب السليم هو السالم من مداخلة الضلال، أي سليم من دخول الضلال فيه، من الشرك والشك والبدع وغير ذلك، فكان نقيًا، طاهرًا، زكيًا، سالمًا من ذلك.

قوله: علامات ذُكِرْنَ بكل نثر: إشارة منه -رحمه الله تعالى- إلى ذكر العلماء -رحمهم الله تعالى- لعلامات ودلائل على صحة القلب.

قوله: عن الأعلام: أي من أئمة السلف وعلماء المسلمين -رحمهم الله تعالى-.

قوله: واضحة المنال: أي من أراد تحصيلها ونيلها يجدها في مظانها من كتب أهل العلم -رحمهم الله تعالى-، سواء في كتب التفسير ولا سيما الآيات المتعلقة بصحة القلب وسلامته، ومنها قول الله تعالى: {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ(٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، أو في الأحاديث النبوية المأثورة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بمطالعة شروحاتها، ومطالعة كلام أهل العلم في بيانها، وتوضيح مدلولها.

والإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في (إغاثة اللهفان) ذكر في هذا الباب خلاصات دقيقة جدًا ومفيدة، وعرفنا أن الناظم -رحمه الله تعالى- أشار إلى أنه نظم ما وجده في (إغاثة اللهفان)، وإذا رجعت للفصل العاشر من (إغاثة اللهفان) تجد أن ابن القيم تكلم عن هذه العلامات، وعددها علامة تلو الأخرى، فبدأ كلامه بقوله: فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي... ومن علامة صحته كذا... ومن علامة صحته كذا... ومن علامة صحته كذا. يذكر علامة تلو الأخرى، وسنقف على نص كلام ابن القيم -رحمه الله- من (إغاثة اللهفان) عند كل موضع نظمه الإمام ابن سحمان -رحمه الله-.

قوله: ولكني نظمت لها نظامًا: أي أن العلماء -رحمهم الله- ذكروا هذه العلامات نثرًا، لكنني ذكرتها في هذا الموضع نظمًا، ومعلوم أن النظم له فائدة من جهة سهولة الحفظ، ويسر انتظام المعلومات عندما تكون قد نظمت نظمًا ثلثًا محبوكًا، كما هو الشأن في هذه المنظومة النافعة التي بين أيدينا.

قوله: بها أرجو التنافس في الفضال: أي رجوت بهذا النظم أن أتنافس في هذا الميدان المبارك الذي هو ميدان أهل العلم، نصحًا للعباد، وبيانًا لدين الله تبارك وتعالى، فأردت التنافس في هذا الميدان، والميدان هو ميدان سباق وتنافس، فيقول: رجوت أن أكون في دخولي في هذا النظم منافسًا في هذا الخير، راجيًا ثواب الله سبحانه وتعالى وأجره.

قوله: مع الإقرار بالتقصير فيها: أي أنظم هذه الخصال وأجمعها هذا الجمع في هذا النظم مقرًا بأنني مقصرًا فيها، وسيأتي من المشاهد التي ذكرها -رحمه الله تعالى- مشهد التقصير، وهو مشهد عظيم جدًا ينبغي أن يشهده المسلم في أعماله كلها، مهما قدمت من عمل سواء الأعمال التعبدية من صلاة أو صيام أو غير ذلك، أو الأعمال العلمية من حفظ ومذاكرة وجلوس في حلق العلم وغير ذلك، ينبغي أن تشهد نفسك مقصرًا، وشهود التقصير له مردود عليك مبارك؛ لأنه كلما أشعرت نفسك بالتقصير كلما كان ذلك حافزًا لك لمواصلة العمل والجد والاجتهاد في تكميل النفس، بخلاف ما إذا كان الإنسان يحصل قليلًا أو يأتي بعبادات قليلة، ثم يرى نفسه مكملًا ومتممًا للأمر، فمن شأن أهل الحق والخير والهدى تكميل العمل وتتميمه، وفي الوقت نفسه شهود التقصير فيه، فجمعوا بين حسنتين: حسنة إكمال العمل وتكميله، وحسنة شهود التقصير فيه وخوف ألا يقبل منه، مثل ما قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، والمنافق جمع بين إساءة وأمن.

قوله: وذكر للعقيدة في المقال: أي في هذا المقال، وفي هذا النظم ختمته بذكر للعقيدة، وذكره للعقيدة في هذا المقال الذي هو مقال نظم في بيان علامات صحة القلب وما ينبغي أن يشهده ليكون قلبًا زكيًا صالحًا مستقيمًا، نظمه للعقيدة في هذا الموطن تنبيه لطيف من الناظم -رحمه الله تعالى- إلى مكانة العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة وأهميتها، وأنها الأساس الذي لا تكون القلوب سليمة صحيحة إلا به.

المجلس: ٢

*** المتن ***

علامة صحة للقلب ذكر *** لذي العرش المقدس ذي الجلال
وخدمة ربنا في كل حال *** بلا عجز هنالك أو ملال
ولا يأنس بغير الله طرى *** سوى من قد يدل إلى المعالي
ويذكر ربه سرًا وجهرًا *** ويُدمن ذكره في كل حال

*** الشرح ***

هذه العلامة الأولى من علامات صحة القلب، وهي العناية بذكر الله سبحانه وتعالى بكثرة، كما قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال الله تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب: ٣٥].

وفي الذكر لهذه العلامة يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في (إغاثة اللهفان) في الفصل العاشر منه: ومن علامات صحة القلب ألا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه ويذكّره به، ويذاكره بهذا الأمر.

فالناظم -رحمه الله- في هذه الأبيات الأربعة نظم هذا التقرير الذي ذكره ابن القيم -رحمه الله- في بيان علامة صحة القلب.

قوله: علامة صحة للقلب ذكرٌ لذي العرش المقدس ذي الجلال: أي من علامات صحة القلب وسلامته أن يكثر من ذكر الله دون أن يصيبه فتور أو ملل أو سآمة أو نحو ذلك، بلا لا يزال معتنيًا بالذكر محافظًا عليه.

قوله: لذي العرش: أي العرش المجيد الذي هو أعلى المخلوقات وسقفها، وعليه استوى الرحمن، كما قال الله سبحانه وتعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥].

قوله: المقدس: من التقديس وهو التتريه، فالله سبحانه وتعالى مقدس متره عن النقائص والعيوب وعن مماثلة المخلوقات.

قوله: ذي الجلال: أي الموصوف بالجلال سبحانه وتعالى، كما قال الله: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ} [الرحمن: ٧٨].

قوله: وخدمة ربنا في كل حال: المراد بالخدمة هنا الطاعة ومداومة العبادة، وهي عبارة وجد التعبير بها عند بعض أهل العلم ومنهم ابن القيم -رحمه الله تعالى- كما مرت العبارة عنده بذلك، والأولى من ذلك الإتيان بالعبارات والألفاظ التي جاءت في الكتاب والسنة، والمراد بها واضح، والمقصد منها بين، وهو العبادة والمواظبة عليها، والمداومة على طاعة الله سبحانه وتعالى.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: (طريق الهجرتين): المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته، وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل، فليزن العبد إيمانه ومحبته لله بهذا الميزان، ولينظر هل هو ملتذ؟ أو متكرّه لها يأتي بها على السآمة والملل؟ فهذا محل إيمان العبد ومحبته لله تبارك وتعالى. انتهى.

فإذن: هذه علامة مهمة، أن يأتي بالعبادة والذكر ويداوم على طاعة الله دون تكرّه، ودون ملل، ودن سآمة.

قوله: بلا عجز هنالك أو ملال: أي دون أن يكون منه عجز عن ذلك، بل بهمة عالية ونشاط متواصل، ودون أن يحصل منه ملال، والملال هو السآمة، وفي الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عليكم من العمل بما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا)، فينبغي على العبد أن يكون هذا شأنه في العبادة والتذلل لله، والتدرج في الطاعات دون أن يحصل عنده سآمة من العمل، أو ملل من العبادة.

قوله: ولا يأنس بغير الله طرى: طرى: أي جميعًا، أي عليه ألا يحصل له أنس بغير الله.

قوله: سوى من قد يدل إلى المعالي: أي لا يكن أنسه إلا بالأشخاص الذين يدلونه على المعالي، ويعينونه على طاعة الله، وذكره سبحانه وتعالى، بحيث تكون مجالسهم غنيمة له، فيصبر نفسه على الجلوس

معهم ومصاحبتهم، فإن المؤمن ليس له أن يصاحب من شاء؛ لأن الجليس مؤثر في جليسه، والصاحب مؤثر في صاحبه، فعليه ألا يأنس بغير الله طرى، لا يستثنى من ذلك إلا الأشخاص الذين يدلونه على المعالي، بحيث تكون صحبته لهم عونًا له على معالي الأمور في باب الفضائل، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والتعبدات.

قوله: ويذكر ربه سرًا وجهرًا: والأصل في الذكر أن يكون سرًا بين العبد وربه تبارك وتعالى، ويكون جهرًا في المواطن التي جاء فيها الجهر بذكر الله سبحانه وتعالى، كرفع مثلًا الصوت بالتكبير، أو القراءة الجهرية في الصلاة أو غير ذلك في المواطن التي شرع فيها الإتيان بذكر الله سبحانه وتعالى جهرًا.

قوله: ويُدمن ذكره في كل حال: أي يواظب على ذكر الله سبحانه وتعالى مواظبة مستمرة دائمة دون سآمة أو ملال.

وقد صح عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه. أي قائمًا وقاعدًا، وعلى جنبه، وماشيًا، وراكبًا، وداخلًا، وخارجًا، وفي بدء الطعام، وفي منتهاه، وفي كل أحيانه يكون ذاكرًا لله سبحانه وتعالى.

*** المتن ***

ومنها وهو ثانيها إذا ما * يفوت الوِرد يوماً لاشتغال**

فيألم للفوات أشد مما * يفوت على الحريص من الفضال**

*** الشرح ***

هذه العلامة الثانية من علامات صحة القلب، قال ابن القيم –رحمه الله- في (إغاثة اللهفان): ومن علامات صحته أنه إذا فاته وِرده، وجد لفواته ألمًا أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

قوله: الوِرد: أي الوظيفة اليومية الراتبة التي يعتني بها المسلم من صلوات وأذكار وقراءة قرآن، وينبغي للمسلم أن يكون له وِرد يومي يواظب عليه ويعتني به، هذا فيما يتعلق بالذكر المقيد.

وأما الذكر المطلق فهذا باب مفتوح يعتني به المسلم في كل أحيانه، ولكن إذا فاته الوِرد وحصل له أمر طارئ وظرف اضطره إلى أن فاته الوِرد وانشغل عنه، تكون حاله –وهذا من علامات صحة

القلب- أن يتألم لفوات هذا الوِرد تألمًا أشد مما يكون من صاحب المال والتجارة إذا فاته مثلًا ربح معين أو مكاسب معينة.

قوله: فيألم للفوات أشد مما يفوت على الحريص من الفضال: أي يكون تألمه أشد من تألم الحريص على المال مثلًا ، أو عند فقد المال، أو غير ذلك من الأمور، وذلك لعظم مكانة الذكر، والوِرد اليومي عنده مواظبة عليه، ومحافظة عليه.

*** المتن ***

ومنها شُحّه بالوقت يمضي * ضياعاً كالشحيح ببذل مال**

*** الشرح ***

هذا البيت ذكر فيه -رحمه الله تعالى- العلامة الثالثة من علامات صحة القلب، ونظم -رحمه الله تعالى- في هذا البيت قول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في (إغاثة اللهفان): ومن علامات صحته -أي القلب- أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا، من أشد الناس شحًا بماله ومنعًا.

فيكون عنده شح بالوقت أشد من شح صاحب المال بماله؛ لأن الوقت أثمن ما يكون، والوقت ثمين، وهو من ذهب، فصاحب القلب السليم عنده عناية دقيقة جدًا بوقته، ولهذا يعتني بتنظيم وقته، ووظائفه في يومه وليلته، ويجد أنه يتنقل من عمل إلى عمل مجاهدًا نفسه على تحقيق رضا ربه سبحانه وتعالى، وعنده شح بوقته، ولا سيما إن دعاه داعٍ إلى شيء فيه إثم ومعصية لله سبحانه وتعالى، فهو شحيح بوقته أشد ما يكون، ويجد أن من الخسران العظيم أن يصرف شيئًا من وقته في أمور تجعله تؤثمه وتغضب ربه عليه، فلا يعطي أحدًا من وقته لأشياء تسخط الله، وتغضب الله سبحانه وتعالى.

قوله: ومنها شُحّه بالوقت يمضي ضياعًا كالشحيح ببذل مال: فحاله مع الوقت كحال الشحيح الذي لا يخرج منه المال والدرهم إلا بصعوبة، فهو شحيح بوقته مثلما يكون الشحيح بماله، بل أشد من ذلك.

فهذا فيه التنبيه على أن من علامات صحة القلب المحافظة على الوقت، والرعاية له، وأن يكون في صباحه إذا أصبح لا ينتظر المساء، وإذا أمسى لا ينتظر الصباح، ويأخذ من صحته لمرضه، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، والإنسان مجموعة من الوقت، سنوات وشهور وأيام وساعات وينتهي هذا الإنسان في هذه الحياة بانتهاء الوقت المحدد له فيها، و {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد: ٣٨]، فيعتني بوقته عناية دقيقة، فإن هذا من علامات صحة القلب وسلامته.

وقد قال ابن القيم -رحمه الله- في موضع آخر من كتبه كلامًا معناه: جميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى ضاع الوقت لم يستدركه أبدًا؛ لأن الوقت الذي يذهب لا يمكن أن يعود، والأيام التي تمضي لا يمكن أن تعود، وجميع المصالح مترتبة على الوقت، فإذا ضاع الوقت لم تتحقق للعبد مصالحه، سواء منها الدينية أو الدنيوية.

*** المتن ***

وأيضاً من علامته اهتمام * بهمّ واحد غير انتحال**

فيصرف همّه لله صرفاً * ويترك ما سواه من المقال**

*** الشرح ***

في هذين البيتين يذكر -رحمه الله تعالى- العلامة الرابعة من علامات صحة القلب، وهو هنا ينظم ما ذكره ابن القيم -رحمه الله تعالى- في (إغاثة اللهفان) بقوله: ومن علامات صحته -أي القلب- أن يكون همه واحدًا، وأن يكون في الله.

فيجعل همه همًا واحدًا وهو الاهتمام بنيل رضا الله، والفوز برضاه سبحانه وتعالى، وهذا مقصده في هذه الحياة، أن يجتمع همه على همّ واحد أن ينال رضا الله، فإذا أراد أن يُقدم أو يُحجم أو يفعل أو يترك، فلا يفعل ولا يترك ولا يُقدم ولا يُحجم إلا في حدود هذا الهمّ الذي هو معه دائمًا وأبدًا أن ينال رضا الله سبحانه وتعالى، فينظر في الأمور التي سيفعلها هل هي من رضا الله؟ فإن كانت كذلك أقبل عليها وحمد الله، وإن كانت من الأمور التي ليس بها رضا، بل هي سخطه تعالى تجنبها، وابتعد عنها، فيجعل همّه همًا واحدًا.

قوله: غير انتحال: الانتحال هو الانتساب الذي يكون بالزعم والادعاء، ومن السهل على الإنسان أن يقول: أنا همي واحد هو رضا الله. لكن ليس المراد هو مجرد الانتحال، بل المراد أن تكون هذه فعلًا هي حقيقة الحال.

قوله: فيصرف همّه لله صرفًا: أي يجاهد نفسه على أن يصرف همه لله صرفًا، ويترك ما سواه من المقال، وفي الحديث في مسند الإمام أحمد عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة).

*** المتن ***

وأيضاً من علامته إذا ما * دنا وقت الصلاة لذي الجلال**
وأحرم داخلاً فيها بقلب * منيب خاضع في كل حال**
تناءى همه والغم عنه * بدنيا تضمحل إلى زوال**
ووافى راحة وسرور قلب * وقرة عينه ونعيم بال**
ويشتد الخروج عليه منها * فيرغب جاهداً في الإبتهال**

*** الشرح ***

هذه العلامة الخامسة من علامات صحة القلب، وهي علامة تظهر عند حضور الصلاة ومجيء وقتها، والصلاة ميزانٌ ومحكٌ يومي، فكيف شأن الإنسان مع هذه الصلاة؟ وهل هذه الصلاة قرة عين له، وراحة لقلبه؟ أم أنها شيء ثقيل وعبء إذا جاء يريد أن يتخلص منه؟ وحاله معها ليس، (أرحنا بالصلاة)، وإنما أرحنا من الصلاة؟.

فمن علامات صحة القلب عِظَم إقباله على الصلاة، وسروره بها، وتعلق قلبه، وانتظاره لها، وفرحه بمجيئها، وحلول وقتها، وإقباله عليها.

ونظم -رحمه الله- في هذه الأبيات قول ابن القيم -رحمه الله- في (إغاثة اللهفان): ومن علامات صحته أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همّه وغمّه بالدنيا، وأشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته، ونعيمه، وقرة عينه، وسرور قلبه.

والصلاة ميزان يومي يتكرر خمس مرات في اليوم والليلة، يزن فيه الإنسان نفسه وإيمانه، وفي الحديث: (من حافظ عليها جعلت له نورًا، وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة)، فالصلاة برهان على الإيمان، ودليل عليه، وكلما كان العبد أعظم إقبالًا عليها ومحافظة كان ذلك من الدلائل العظيمة والشواهد البينة على صحة قلبه وسلامته، لكن إذا كان حاله إذا حضرت الصلاة يضجر ويتململ، وإذا دعي للصلاة تضجر، وإذا أقعد من النوم ليصلي غضب، إلى غير ذلك، فهذه علامة ليست من علامات سلامة القلب وصحته، وإنما من علامة سقم القلب ومرضه.

قوله: وأيضًا من علامته إذا ما دنا وقت لذي الجلال: أي إذا جاء وقت الصلاة وحضر وقت الصلاة لذي الجلال سبحانه وتعالى.

قوله: وأحرام داخلًا فيها: أي كبر تكبيرة الإحرام ودخل في الصلاة.

قوله: بقلب منيب خاضع في كل حال: أي من أحوال الصلاة، فيُحرم ويكبر تكبيرة الإحرام، ويدخل في هذه الصلاة دخول عبد منيب، أي راجع إلى الله، مقبل على طاعته سبحانه وتعالى ونيل رضاه، يؤدي صلاته بخضوع وذل وانكسار بين يدي الله تبارك وتعالى قائمًا وراكعًا وساجدًا يرجو رحمة الله ويخاف عذابه.

قوله: تناءى همه والغم عنه بدنيا: فإذا أحرم في الصلاة داخلًا فيها بقلب منيب خاضع تناءى همه والغم عنه، أي ابتعد، فالدنيا كلها بجميع تفاصيلها تذهب عنه، ولا يكون في قلبه شيء منها، كيف لا وهو قال: الله أكبر. في تكبيرة الإحرام، الله أكبر من كل شيء، فكل شيء يتساقط، وكل شيء يذهب، ولا يبقى في قلبه إلا تكبير الله وتعظيمه وتقديسه والانشغال بذكره سبحانه وتعالى.

قوله: تضمحل إلى زوال: أي تذهب عنه هذه الدنيا المضمحلة الزائلة الفانية التي لا تبقى للعبد ولا يبقى العبد لها، فلا ينشغل بها، مع أن بعض الناس يبدأ بحساباته وأعماله، وترتيب مصالحه الدنيوية في صلاته، ففي صلاته ينشغل بدنياه، و(ليس للعبد في صلاته إلا ما عقل منها)، وأعظم الناس أجرًا في الصلاة أكثرهم لله ذكرًا، وكلما كان أكثر ذكرًا لله بقلبه ولسانه كان ذلك أعظم في أجره، وإذا كان في

صلاته منشغل القلب، فليس له من صلاته إلا ما عقل من صلاته، ثم يكون شأنه في الصلاة أنه يجد الراحة والسرور وقرة العين.

قوله: ووافى راحة وسرور قلب: أي وجد راحة وسرور قلب.

قوله: وقرة عينه ونعيم بال: هذه أمور يجدها في صلاته، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)، وكان يقول عليه الصلاة والسلام: (أرحنا بالصلاة يا بلال)، فالصلاة راحة للقلب، وطمأنينة للنفس، وسعادة ولذة للعبد، فيجد فيها راحة، ويجد فيها سرور، ويجد فيها قرة عين، ويجد فيها نعيم بال، إذا كانت هذه المعاني العظيمة وجدها في صلاته، كيف يكون شأنه عندما يريد أن يخرج من الصلاة وتنتهي هذه الصلاة التي وجد فيها الراحة والنعيم واللذة وقرة العين وراحة البال؟!.

قوله: ويشتد الخروج عليه منها: وفي نسخة: ويشق، وفي نسخة: ويشتد، وهو أولى موافقة لكلام ابن القيم -رحمه الله تعالى-؛ لأن ابن القيم قال: إذا دخل في صلاته ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها.

قوله: ويشتد الخروج عليه منها: أي يجد شدة في الخروج من هذه الصلاة.

قوله: فيرغب جاهدًا في الإبتهال: كما قال الله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح: ٧، ٨].

وقطع الهمزة في الإبتهال للضرورة الشعرية.

وخاتمة الصلاة وهو ما قبل السلام من أحرى مواطن الدعاء والإجابة، فيتحرى قبل أن يسلم ويخرج من صلاته، يتحرى الإلحاح على الله بالدعاء، والإلحاح على الله بالسؤال، وكم هو عظيم الدعاء في هذا الموطن قبل السلام! لأنك قدمت وسائل عظيمة بين يدي هذا الدعاء، قيام بتلاوة القرآن، وحمد الله، والثناء عليه، وركوع وسجود، وقدمت بين يدي هذا الدعاء مقدمات عظيمة، ووسائل جليلة مباركة، فهو من أحرى أوقات الدعاء، والدعاء فيه مستجاب ولا يرد، فيرغب جاهدًا راغبًا في الابتهال، أي في السؤال، والدعاء، والإلحاح على الله سبحانه وتعالى بسؤاله خيري الدنيا والآخرة.

وحول هذا الموضوع ومكانة الصلاة وأهميتها وتعظيمها، طبع لي كتاب في هذه الأيام بعنوان: (تعظيم الصلاة)، ولعل الله سبحانه وتعالى ييسر إرسال نسخ، وتصل إلى الإخوان، وكنت أردت أن آتي بشيء منها معي، ولكن غفلت عن ذلك وقت السفر، لكن لعلها -إن شاء الله- تصل إلى الإخوان.

*** المتن ***

وأيضاً من علامته اهتمام *** بتصحيح المقالة والفعال
وأعمال ونيات وقصد *** على الإخلاص يحرص بالكمال
أشد تحرصاً وأشد هماً *** من الأعمال ثمة لا يبالي
بتفريط المقصر ثَمَّ فيها *** وإفراط وتشديد لغال
وتصحيح النصيحة غير غش *** يمازج صفوها يوماً بحال
ويحرص في اتباع النص جهداً *** مع الإحسان في كل الفعال
ولا يصغي لغير النص طرى *** ولا يعبا بآراء الرجال
فست مشاهد للقلب منها *** علامات عن الداء العضال
ويشهد منة الرحمن يومًا *** بما أسدى عليه من الفضال
ويشهد منه تقصيرًا وعجزًا *** بحق الله في كل الخلال
فقلب ليس يشهدها سقيم *** ومنكوس لفعل الخير قالي

*** الشرح ***

هذه الأبيات ذكر فيها -رحمه الله تعالى- العلامة السادسة من علامات صحة القلب، ونظم فيها قول ابن القيم -رحمه الله- في (إغاثة اللهفان): ومنها -أي علامة صحة القلب- أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيها، والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله، فهذه ست مشاهد لا يشهدها إلا القلب الحي السليم.

وللإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- تفصيل جميل أنصح بمطالعته وقراءته في رسالته التي بعنوان: (رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه)، وهي رسالة ثمينة وقيمة ونافعة جدًا، ومشتملة على وصايا عظيمة جدًا

أوصى بها ابن القيم –رحمه الله أحد إخوانه، فنفع الله بها نفع عظيمًا، ومن جملة فوائد هذه الرسالة تفصيل نافع لهذه المشاهد الستة التي لا يشهدها إلا القلب الحي السليم.

قوله: وأيضاً من علامته: أي علامة القلب السليم.

قوله: اهتمام بتصحيح المقالة والفعال وأعمال ونيات وقصد على الإخلاص: هذا كله جملة واحدة، فيهتم بتصحيح أقواله، وتصحيح أفعاله، وتصحيح أعماله، وتصحيح نياته، ومقاصده، كل هذه يصححها على الإخلاص، أن تكون أقواله، وأفعاله، وأعماله، ونياته خالصة لله، لا يبتغي بشيء منها إلا وجه الله سبحانه وتعالى.

والإخلاص هو الإتيان بالعمل والقول، والنية، صافيًا نقيًا، لا يراد به إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال الله تعالى: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: ٣]، قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: ٥].

قوله: أشد تحرصاً وأشد هماً من الأعمال: فيهتم بتصحيح هذه الأمور على الإخلاص، ويحرص بالكمال أشد تحرصًا، وأشد همًا من الأعمال، يكون حرصه على كون الأعمال بنية صحيحة وخالصة لله تبارك وتعالى، أشد من عنايته بالعمل نفسه؛ لأن العمل وإن كان متعددًا وكثيرًا ومتنوعًا إن لم يكن قائمًا على الإخلاص لم يقبله الله، وفي الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه)، فهو جل وعلا لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

فإذن: صاحب القلب السليم يحرص حرصًا شديدًا على الإخلاص، وتصحيح العمل أشد تحرصًا منه على العمل نفسه.

قوله: ثمة لا يبال، بتفريط المقصر ثمَّ فيها، وإفراط وتشديد لغال: أي أنه تقع منه الأعمال خالصة لله سبحانه وتعالى، موافقة لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ولا يبالي بإفراط مفرط، أو تفريط مقصر؛ لأنه جاء عمله وسطًا بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، ودين الله وسط بين الإفراط

والتفريط، والغلو والجفاء، كما قال سبحانه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} [البقرة: ١٤٣]، أي لا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، وخير الأمور أوساطها، لا تفريطها ولا إفراطها.

قوله: وتصحيح النصيحة غير غش: فهناك عدة أمور يعتني بتصحيحها، ذكر الإخلاص وذكر النصيحة، وتصحيح النصيحة بحيث يكون ناصحًا في العمل، وفي الحديث: (الدين النصيحة)، قلنا: لمن يا رسول الله؟. قال: (لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)، فيصحح النصيحة ولا يكون في علمه غش.

قوله: غير غش يمازج صفوها يومًا بحال: أي باستمرار وهو يجاهد نفسه على وقوع العمل على النصيحة التي هي السلامة من الغش.

قوله: صفوها: أي صفو هذه الأعمال.

قوله: غش بحال: أي في أي يوم من الأيام.

قوله: ويحرص في اتباع النص جهدًا: أي يجاهد نفسه على الاتباع، لهدي النبي الكريم وسنته القويمة صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: مع الإحسان في كل الفعال: أي يجاهد نفسه على وقوع العمل على الإحسان، والإحسان هو الإتقان والإجادة، وله ركن واحد جاء بيانه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

قوله: ولا يصغي لغير النص طرى: أي لا يستمع لغير النص؛ لأن عمله إنما هو بالنص، والمراد بالنص كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

قوله: ولا يعبا بآراء الرجال: أي لا يبالي ولا يكترث بآراء الرجال؛ لأن المقدم عنده هو كلام الله، وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: فست مشاهد للقلب منها علامات عن الداء العضال: مر معنا أن ابن القيم –رحمه الله– لما أشار لهذه المشاهد الست، قال: لا يشهدها إلا القلب الحي السليم. وهذه علامات على سلامة القلب ووقايته من الداء العضال.

ويضاف إلى ذلك في هذه المشاهد ما ذكره بقوله: ويشهد منة...

قوله: ويشهد منة الرحمن يومًا، بما أسدى عليه من الفضال: أي كل ما يقوم به من أعمال، وعبادات، وطاعات، وأذكار، وغير ذلك، يشهد فيها منة الله عليه، كما كان الصحابة يقولون: لولا الله ما اهتدينا، ولا صمنا، ولا صلينا. فيشهد منة الله عليه، ودائمًا يحمد الله أن هداه، وأن يسر له، ومنَّ عليه، ويشهد منة الله عليه بالتوفيق للعبادة، وتيسير الطاعة، والعون على الذكر والشكر.

وشهود المنة يطرد عجب الإنسان بنفسه وعمله، والعجب آفة عظيمة مهلكة للإنسان، كما قال الناظم:

والعجب فاحذره إن العجب مجـــ *** ــترف أعمال صاحبه في سيله العرم

قوله: ويشهد منه تقصيرًا وعجزًا بحق الله في كل الخلال: منه: أي من نفسه، وهذا أمر آخر يشهده، وهو أنه يشهد من نفسه تقصيرًا وعجزًا في العبادة والقيام بها، فيشهد نفسه دائمًا وأبدًا أنه مقصر في جنب الله، وأن حق الله عليه أعظم من هذا الذي قام به، فيشهد نفسه دائمًا في مشهد التقصير.

وذكر ابن القيم –رحمه الله– في هذه الأبيات ست مشاهد:

المشهد الأول: الإخلاص. ذكره في قوله: بتصحيح المقالة والفعال وأعمال ونيات وقصد على الإخلاص.

المشهد الثاني: تصحيح النصيحة. قال: وتصحيح النصيحة. ذكره في البيت رقم ستة وعشرين.

المشهد الثالث: يحرص في اتباع النص. وهو المتابعة لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، و ذكره في البيت الذي يليه.

المشهد الرابع: الإحسان. قال: مع الإحسان في كل الفعال. وذكره في البيت نفسه.

المشهد الخامس: شهود المنة. قال: ويشهد منة الرحمن. وذكره في البيت رقم ثلاثين.

المشهد السادس: شهود التقصير. قال: ويشهد منه تقصيرًا وعجزًا. في البيت الذي يليه.

وهذه المشاهد الست ذكرها ابن القيم -رحمه الله تعالى- في الكلام الذي قرأناه وهو قوله: فيحرص على الإخلاص فيه، والنصيحة، والمتابعة، والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله، فهذه ست مشاهد، لا يشهدها إلا القلب الحي السليم.

وأشرت أن ابن القيم -رحمه الله تعالى- له كلام جميل ونافع جدًا في توضيح هذه المشاهد الست، ذكرها في رسالة له بعنوان: (رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه).

وختم هذه المشاهد الست بقوله: فقلب ليس يشهدها...

قوله: فقلب ليس يشهدها سقيم: فالقلب الذي لا يشهد هذه المشاهد الستة هو قلب سقيم.

قوله: ومنكوس لفعل الخير قالي: قالي: أي مبغض، فالقلب السليم هو ذلك القلب الذي يشهد هذه المشاهد الست العظيمة

المجلس: ٣

*** المتن ***

فإن رمت النجاة غدًا وترجو	***	نعيمًا لا يصير إلى زوال
نعيم لا يبيد وليس يفنى	***	بدار الخلد في غرف عوال
فلا تشرك بربك قط شيئاً	***	فإن الله جل عن المثال
إله واحد أحد عظيم	***	عليم عادل حكم الفعال
رحيم بالعباد إذا أنابوا	***	وتابوا من متابعة الضلال
شديد الانتقام بمن عصاه	***	ويصليه الجحيم ولا يبالي

*** الشرح ***

من هذه الأبيات وما بعدها بدأ –رحمه الله تعالى– بذكر خلاصة لعقيدة أهل السنة، وفي المقدمة ذكر أنه ختم هذه الأبيات بعقيدة أهل السنة والجماعة، وأيضًا مر في أثناء هذه الأبيات إشارة إلى أنه –رحمه الله– ختم هذه الأبيات بذكر لعقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك في قوله في البيت السابع: وذكر للعقيدة في المقال.

قوله: فإن رمت النجاة غدًا: أي طلبت وأردت لنفسك النجاة، والنجاة غدًا يوم لقاء الله سبحانه وتعالى تكون بالزحزحة عن النار ودخول الجنة، كما قال الله تعالى: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥].

قوله: وترجو نعيمًا لا يصير إلى زوال: أي ترجو نعيمًا لا يصير إلى زوال، أي ترجو لنفسك في ذلك اليوم العظيم نعيمًا دائمًا باقيًا، لا يزول ولا ينقطع ولا يبيد.

قوله: نعيم لا يبيد وليس يفنى، بدار الخلد في غرف عوال: أي إذا أردت لنفسك دخول الجنات، والفوز بما فيها من عظيم الكرامات، والهبات، والمنن، والعطايات التي أعدها الله سبحانه وتعالى لأهل الجنات، فعليك أولًا بإصلاح التوحيد والعناية به، والحذر من ضده وهو الشرك، ولهذا قال: ولا تشرك بربك قط شيئًا.

قوله: فلا تشرك بربك قط شيئاً: أي احذر الشرك كله، دقه وجله، صغيره وكبيره، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]، فاحذر الشرك، لا تشرك بربك قط أي شيء كان، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلًا عن ما هو دونهما.

قوله: فإن الله جل عن المثال: قال الله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢]، أي أنه لا خالق لكم غير الله، و قال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} [مريم: ٦٥]: استفهام بمعنى النفي، أي لا سمي له، وقال تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: ١١].

قوله: إله واحد أحد عظيم عليم عادل حكم الفعال: هذا ذكر لأسماء حسنى لله تبارك وتعالى، وصفات عليا له جل وعلا ساقها المؤلف -رحمه الله- مساق ذكر البراهين والدلائل على وجوب توحيد الله والحذر من الإشراك، وأن العبادة حق للإله، الواحد، العظيم، العليم، العدل، الحكم سبحانه وتعالى، الرحيم بالعباد، إلى غير ذلكم من صفاته الدالة كماله، وعظمته، ووجوب إخلاص الدين له جل وعلا.

قوله: رحيم بالعباد إذا أنابوا وتابوا من متابعة الضلال، شديد الانتقام بمن عصاه، ويصليه الجحيم ولا يبالي: جمع هنا ما دل عليه قول الله تعالى: {نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ} [الحجر: ٤٩، ٥٠]، فالله سبحانه وتعالى رحيم بالعباد إذا أنابوا وتابوا من متابعة الضلال، ورحمته كتبها للتائبين المنيبين المقبلين على طاعة الله سبحانه وتعالى، المجانبين لمتابعة الضلال، والمبتعدين عن سبل الضلال، فهؤلاء لهم من الله سبحانه وتعالى الرحمة، {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً} [الأحزاب: ٤٣].

قوله: شديد الانتقام بمن عصاه، ويصليه الجحيم ولا يبالي: وأما من عصاه فإن الله شديد الانتقام، وينبغي على العبد أن يعرف ربه بذلك، يعرف رحمته، ويعرف أيضًا شدة انتقامه، حتى يجمع لنفسه في عبادته لربه بين الرجاء والخوف، والرغبة والرهبة؛ لأن الله رحيم، وفي الوقت نفسه شديد العقاب، فيجمع العبد لنفسه بهذه المعرفة بين رجاء الرحمة، وخوف العقاب.

*** المتن ***

فبادر بالذي يرضى لتحظى *** بخير في الحياة وفي المآل
ولازم ذكره في كل وقت *** ولا تركن إلى قيل وقال

*** الشرح ***

هنا يحث -رحمه الله- على المبادرة والمسارعة والمسابقة إلى الأمور التي يرضى الله سبحانه وتعالى، أو رضيها لعباده، ويرضى عن عباده لفعلهم لها، فينبغي على العبد أن يبادر ويسارع إلى الأعمال التي يرضى الله سبحانه وتعالى عنها وعن فاعلها، من أجل أن يحظى ويفوز بخير في الحياة وفي المآل.

وهذا فيه أن عناية العبد بالأعمال التي فيها رضا الله سبحانه وتعالى يترتب عليه الخير للعبد في حياته الدنيا، وفي مآله يوم القيامة يوم يلقى الله سبحانه وتعالى.

ثم حث -رحمه الله تعالى- على ملازمة الذكر في كل الأوقات.

قوله: ولازم ذكره في كل وقت: أي قائمًا، وقاعدًا، ومضطجعًا، وراكبًا، وماشيًا، وداخلًا، أو خارجًا، داوم على ذكر الله، ولازم ذكره سبحانه وتعالى في كل وقت.

ومن فوائد الذكر العظيمة: أن الاشتغال به يشغل العبد عن الخوض في قيل وقال مما لا نفع فيه؛ لأن اللسان خلق للكلام، فإذا شُغل بذكر الله انشغل عن القيل والقال، وإذا يبس عن ذكر الله تبارك وتعالى اشتغل بكل باطل وضلال، فينبغي على الإنسان أن يعود نفسه على العناية بذكر الله سبحانه وتعالى؛ لأن الذكر ينهى صاحبه عن الغيبة، وعن النميمة، وعن كل قول يفسد الديانة، ففيه حفظ للسان، وصيانة للإنسان، بينما إذا غفل عن ذكر الله، اشتغل بقيل وقال من الأمور التي تضره ولا تنفعه، ولهذا قال: ولا تركن إلى قيل وقال.

قوله: ولا تركن إلى قيل وقال: أي قيل: كذا. وزعموا كذا، ويقال: كذا. وشغل الأوقات بأمور ليس بها نفع، وربما أيضًا يكون فيها مضرة على العبد.

*** المتن ***

وأهلَ العلم جالسهم وسائل * ولا يذهب زمانك في اغتفال**

*** الشرح ***

قوله: وأهلَ العلم: مفعول مقدم.

قوله: جالسهم: أي احرص على مجالستهم؛ لأن مجالسة أهل العلم غنيمة؛ لأنهم يعلمون الجاهل، وينبهون الغافل، ويذكرون بالله، وبطاعة الله سبحانه وتعالى، فيحصل في مجالستهم الخير العظيم، والنفع العميم، فاحرص أشد الحرص على مجالستهم، وسؤالهم عما ينفعك في دينك، وما يقربك إلى الله.

قوله: ولا يذهب زمانك في اغتفال: أي لا يذهب زمانك ويضيع عمرك في الغفلة واللهو، بل احرص على مجالسة أهل العلم، وسؤالهم، والتفقه على أيديهم، والانتفاع بما آتاهم الله سبحانه وتعالى من علم، وفهم، وحكمة، فهذا فيه فائدة للعبد، ويحرص على أهل العلم المعروفين بالسنة، واتباع هدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

ويقول ابن القيم -رحمه الله- في كلام جميل له حول هذا الموضوع في كتابه: (الوابل الصيب): فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر؟ أو هو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى؟ أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى، وهو من أهل الغفلة، كان أمره فرطًا، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه، وقدوته، ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله عز وجل، واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره، فليمسك بغرزه.

وهذه وصية عظيمة وثمينة جدًا، يحتاج إليها المسلم في من يتخذه قدوة له.

*** المتن ***

وأحسن وانبسط وارفق ونافس * لأهل الخير في رتب المعالي**

فحسن البشر مندوب إليه * ويكسو أهله ثوب الجمال**

*** الشرح ***

هذا حث على هذه الأعمال العظيمة، وترغيب فيها، وهي التحلي بمكارم الأخلاق، وجميل الآداب، وطيب المعاشرة والمعاملة، وأن تكون خلطة الإنسان للناس مبنية على مثل هذه الأمور.

قوله: **وأحسن**: أحسن إلى الناس في التعامل معهم، فإن الله سبحانه وتعالى يحب المحسنين.

قوله: **وانبسط**: أي تلقى الناس بالانبساط والبشر، ولا تلقاهم بالوجه المقطب أو الوجه العابس، أو نحو ذلك.

قوله: **وارفق**: أي عامل الناس بالرفق، فإن (الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه).

قوله: **ونافس لأهل الخير في رتب المعالي**: أي خالط وعاملهم بهذه المعاملة الكريمة الطيبة، لكن عندما تأتي إلى باب القدوة وباب العمل كن منافسًا ومسابقًا إلى رتب المعالي.

قوله: **رتب المعالي**: أي معال الأمور من الطاعات والعبادات المقربة إلى الله سبحانه وتعالى، والتي ينال بها رفيع الدرجات.

قوله: **فحسن البشر**: أي أن تلقى أخاك بالبشر والوجه الطليق، وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر، عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)، فهذا أمر مندوب إليه، وجاءت السنة بالحث عليه.

قوله: **ويكسو أهله ثوب الجمالِ**: هذا فيه أن الأخلاق والآداب الفاضلة التي حثت عليها الشريعة هي في الحقيقة جمال لصاحبها وزينة له.

*** المتن ***

وأحبب في الإله وعاد فيه * وأبغض جاهداً فيه ووالِ**

وأهلَ الشرك باينهم وفارق * ولا تركن إلى أهل الضلال**

*** الشرح ***

في هذين البيتين تنبيه على ما ينبغي على أن يكون عليه العبد في باب الولاء والبراء والحب والبغض، أن يكون في حبه وولائه، وبغضه وعدائه منطلقًا في هذا الباب من قاعدة الدين الحب في الله، والبغض في الله، (يحب المرء لا يحبه إلا لله، ويبغضه لا يبغضه إلا لله).

قوله: وأحبب في الإله وعاد فيه، وأبغض جاهدًا فيه ووالِ: أي ليكن حبك وبغضك، وولاؤك وعداؤك في الله، ولأجل الله سبحانه وتعالى، وفي الحديث في سنن أبي داود وغيره، عن أبي أمامة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان).

قوله: وأهلَ: مفعول مقدم.

قوله: وأهلَ الشرك باينهم وفارق، ولا تركن إلى أهل الضلال: أي احذر أهل الشرك، وباينهم، وجانبهم، وكن مبغضًا لهم، وأيضًا احذر أهل الضلال عمومًا، لا تركن إليهم، ولا تحرص مجالستهم، وإنما ليكن حرصك على مجالسة أهل الخير والنبل والفضل.

*** المتن ***

وتشهد قاطعًا من غير شك * بأن الله جل عن المثال**

*** الشرح ***

قوله: وتشهد قاطعًا من غير شك بأن الله جل عن المثال: أي تشهد قاطعًا في جملة ما تدين الله به وتعتقده بدون أن يكون عندك شك أو تردد بأن الله جل عن أن يكون له مثال، كما قال الله سبحانه وتعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥]، وكما قال الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، وقال تعالى: {فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ} [النحل: ٧٤].

قوله: من غير شك: أي من غير تردد.

قوله: جل: تنزه وتقدس.

*** المتن ***

علا بالذات فوق العرش حقاً * بلا كيف ولا تأويل غال**
علو القدر والقهر اللذان * هما لله من صفة الكمال**
بهذا جاءنا في كل نص * عن المعصوم من صحب وآل**

*** الشرح ***

هذا كله تابع لما سبق من أن المرء يشهد شهادة قاطعة جازمة لا شك فيها بأن الله سبحانه وتعالى جل عن المثال علا بالذات.

قوله: علا بالذات فوق العرش حقًا: أي كما أخبر هو سبحانه وتعالى عن نفسه بذلك، وكما أخبر به رسوله صلوات وسلامه عليه، علوًا يليق بجلاله وكماله، قال الله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، وقال: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤، وغيرها]، فتشهد بذلك مؤمنًا جازمًا دون أن يكون عندك شك أو ريب في ذلك.

قوله: بلا كيف ولا تأويل غال: أي احذر من هذين الأمرين: أثبت لله علوه على العرش بلا كيف، فنؤمن بأن الله استوى، ولا نعلم كيف استوى؟ وهنا يأتي الأثر المشهور عن الإمام مالك، عندما سأله ذلك الرجل، قال له: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، كيف استوى؟. قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فأنت آمن باستواء الله على العرش بلا كيف.

قوله: بلا كيف: أي بلا كيف نعلمه، أي بلا تكييف.

قوله: ولا تأويل غال: تأويل الغالي هو الذي يقول: استوى أي استولى. أو نحو ذلك من التأويلات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فاحذر من التكييف، وأيضًا احذر من التأويل، وأثبت لله سبحانه وتعاله علوه واستوائه على عرشه، العلو الذي يليق بجلاله وكماله وعظمته.

ثم ينبه -رحمه الله- أن علو الله أنواع ثلاثة:

الأول: علو الذات. ذكره في البيت الذي مر.

الثاني: علو القدر.

الثالث: علو القهر.

ذكرهما في قوله: علو القدر والقهر اللذان، هما لله من صفة الكمال.

قوله: بهذا جاءنا في كل نص، عن المعصوم من صحب وآل: أي جاءنا في كل نص من النقول المنقولة عن المعصوم ما يدل على ذلك.

قوله: من صحب وآل: أي نقلها الصحابة وآل بيت النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليهم.

*** المتن ***

ويترل ربنا في كل ليل	***	**إلى أدنى السموات العوالي**
لثلث الليل يترل حين يبقى	***	**بلا كيف على مر الليالي**
ينادي خلقه هل من منيب؟	***	**وهل من تائب في كل حال؟**
وهل من سائل يدعو بقلب	***	**فيعطى سؤله عند السؤال؟**
وهل مستغفر مما جناه	***	**من الأعمال أو سوء المقال؟**

*** الشرح ***

وهذا أيضًا من جملة أمور المعتقد التي يجب على الإنسان أن يشهد قاطعًا فيها من غير شك، أن الله سبحانه وتعالى يترل في كل ليلة إلى السماء الدنيا، كما جاء في الحديث المتفق عليه: (يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟)، ففي هذه الأبيات نظم -رحمه الله- هذا المعنى الوارد في هذا الحديث، وحديث الترول حديث متواتر، رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقرب من الثلاثين صاحبيًا، ذكرهم الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- بأسمائهم، وذكر مروياتهم في كتابه: (الصواعق المرسلة)، فالترول الإلهي نؤمن به، ونثبته كما جاء وثبت عن رسولنا صلى الله عليه وسلم.

قوله: ويترل ربنا في كل ليل إلى أدنى السموات العوالي: أي إلى السماء الدنيا؛ لأن السموات العوالي أدناها السماء الدنيا، والله سبحانه وتعالى يترل إلى السماء الدنيا كما أخبر بذلك الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: لثلث الليل يترل حين يبقى: أي نزول الله سبحانه وتعالى في الثلث الأخير من الليل، حين يبقى من الليل ثلثه الأخير.

قوله: بلا كيف على مر الليالي: أي أن الترول هذا ليس مختصًا بليلة واحدة، بل كل ليلة، كما جاء في الحديث: (يترل ربنا في كل ليلة).

قوله: بلا كيف: نحن نؤمن أنه يترل ولا نعلم كيف يترل؟؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن الله يترل، و لم يخبرنا كيف يترل؟ فنثبت ما أخبرنا به رسولنا عليه الصلاة والسلام، ونكف عما لم يخبرنا به، فالكيف مجهول لا نعلمه، والترول حق دلت عليه السنة الصحيحة الثابتة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

قوله: ينادي خلقه: أي حين يترل سبحانه وتعالى ينادي خلقه.

قوله: هل من منيب؟: أي راجع إلى الله، ومقبل على طاعته ونيل رضاه.

قوله: وهل من تائب في كل حال؟: فيقبل الله توبته، ويقبل إنابته، وهذا حث وحض للعباد على الإقبال على الله بالتوبة وبالإنابة.

قوله: وهل من سائل يدعو بقلب، فيعطى سؤله عند السؤال؟: وهذا فيه أن هذا الوقت مستجاب فيه الدعاء، ولا سيما من يدعو الله بقلب حاضر، (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب من قلب لاهٍ)، فيكون الدعاء بحضور قلب في هذا الوقت المبارك، وكل وقت يدعو الله سبحانه وتعالى فيه.

قوله: وهل مستغفر مما جناه من الأعمال أو سوء المقال؟: أي هل من منتهز هذه الفرصة العظيمة التي يدنو فيها ويترل إلى السماء الدنيا بأن يكثر من الاستغفار؟، وهو من أحسن أوقات

الاستغفار، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٧]، فهو وقت عظيم للاستغفار.

إذن: هذه أمور ثلاثة ينادي خلقه سبحانه وتعالى بها: هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ وكلها انتظمها الحديث الذي روي عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

*** المتن ***

وتشهد أنها القرآن حقاً *** كلام الله من غير اعتلال

ولا تمويه مبتدع جهول *** بخلق القول عن أهل الضلال

وآيات الصفات تمر مراً *** كما جاءت على وجه الكمال

*** الشرح ***

قوله: وتشهد أنها القرآن حقًّا، كلام الله من غير اعتلال: أي تؤمن وتدين وتقر بأن القرآن كلام الله، تكلم الله سبحانه وتعالى به حقًّا، وسمعه منه جبريل، ونزل به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]، وقال تعالى: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} [السجدة: ٢]، فنشهد بأن القرآن حق، كلام الله، تكلم الله سبحانه وتعالى به حقيقة، من غير اعتلال ولا تمويه مبتدع جهول.

قوله: ولا تمويه مبتدع جهول بخلق القول عن أهل الضلال: أي تحذر أشد الحذر من الذي يصرح بنفي أن القرآن كلام الله، أو من يموه ويقول: نضيف القرآن إلى الله. لكنه يموه، ومحصل هذا التمويه القول بقول النفاة، الذين ينفون أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، فاحذر ممن يصرح، وممن يأتي بهذه المقالة أو هذه العقيدة على وجه التمويه.

قوله: وآيات الصفات تمر مرًا كما جاءت على وجه الكمال: هنا يوضح طريقة أهل السنة وجادّهم في الصفات أن يمروها كما جاءت، ويؤمنون بها كما وردت، كما قال السلف في آيات الصفات: تمر كما جاءت بلا كيف. ومعنى إمرارها كما جاءت أي أن نؤمن بمعانيها، وما دلت؛ لأنها

جاءت محملة بالمعاني، فنؤمن بما دلت عليه من معاني، ونثبت الصفات التي جاءت هذه الآيات وتلك الأحاديث متضمنة لها.

*** المتن ***

ورؤيا المؤمنين له تعالى *** عياناً في القيامة ذي الجلال
يرى كالبدر أو كالشمس صحواً *** بلا غيم ولا وهم خيال

*** الشرح ***

في هذا البيت يذكر عقيدة أهل الإيمان في الرؤية، وأن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى، والرؤية حق دل عليها القرآن، ودلت عليها السنة:

فالقرآن في مثل قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣].

والسنة في مثل قوله عليه الصلاة والسلام: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، وهو حديث متفق على صحته.

قوله: عيانًا: أي بأبصارهم حقيقة.

قوله: في القيامة: كما في الحديث: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة)، وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: (اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا).

قوله: يرى كالبدر أو كالشمس صحوًا بلا غيم ولا وهم خيال: أي رؤية حقيقة بالأبصار كما يرى الناس البدر أو الشمس صحوًا ليس بينهم وبينها سحاب.

وهذا فيه إشارة إلى ما جاء في الحديث في الصحيحين، قال أناس: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟. قال: (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟)، قالوا: لا يا رسول الله. قال: (هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟)، قالوا: لا يا رسول الله. قال: (فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك)، والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية وليس للمرئي بالمرئي.

*** المتن ***

وميزان الحساب كذاك حقًا * مع الحوض المطهر كالزُّلال**

*** الشرح ***

وهذا أيضًا من جملة أمور الاعتقاد الإيمان بالميزان، {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء: ٤٧]، والميزان هو ميزان حقيقي ينصب يوم القيامة ، له كفتان: كفة توضع فيها الحسنات، وكفة توضع فيها السيئات، {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١٠١- ١٠٣]، فالميزان حق نؤمن به، كما دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

قوله: مع الحوض المطهر كالزلال: أي أيضًا نؤمن بالحوض المورود، وجاء وصفه في الحديث بأن طوله شهر، وعرضه شهر، وأن كيزانه عدد نجوم السماء، وأنه أحلى من العسل، وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، إلى غير ذلك من أوصاف الحوض المورود، فنؤمن بالحوض وبجميع أوصافه الثابتة في السنة.

قوله: كالزُّلال: أي حلو، وجاء وصفه في السنة بأنه أحلى من العسل، أكرمنا الله أجمعين بالشرب من هذا الحوض المورود.

*** المتن ***

ومعراج الرسول إليه حق * بنص وارد للشك جال**

*** الشرح ***

وأيضًا من جملة أمور الاعتقاد الإيمان بالمعراج، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى الله حقًا، وهذا أمر ثابت.

قوله: بنص وارد للشك جال: أي نص صحيح ثابت لا يبقى معه شك في ثبوت أن النبي صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى السماء، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه صلى الله عليه وسلم أُسري به إلى بيت المقدس، ثم عُرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، وأن جبريل استفتح له ففُتح له، فرأي في السماء الدنيا آدم عليه السلام، فسلم عليه، ورد عليه السلام ورحب به، ثم رأى في السماء الثانية يحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم، فلقيهما وسلم عليهما فردا عليه، ثم في السماء الثالثة رأى يوسف عليه السلام، فسلم عليه ورحب به، وأيضًا في الرابعة رأى إدريس، وفي الخامسة رأى هارون بن عمران، والسادسة رأى موسى بن عمران عليه السلام، وفي السابعة لقي إبراهيم الخليل عليه السلام، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم بعد ذلك رفع إلى ما هو فوق ذلك، إلى سدرة المنتهى صلوات الله وسلامه عليه، ثم رفع له البيت المعمور، فكل ذلكم حق، وأوحى الله سبحانه وتعالى إليه ما أوحى، وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خففت إلى خمس صلوات، فهذا كله حق نؤمن به، لثبوته في الأحاديث الصحيحة عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

*** المتن ***

كذاك الجسر ينضب للبرايا * على متن السعير بلا محال**

فناج سالم من كل شر * وهاو هالك للنار صال**

*** الشرح ***

أي ومن وجملة ما يجب الإيمان به الإيمان بالجسر، وهو الصراط المستقيم الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة، وإلى هذا الجسر جاءت الإشارة في القرآن في قوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} [مريم: ٧١، ٧٢]، وجاء ذكر هذا الجسر وذكر أوصافه في السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: كذاك الجسر ينصب للبرايا على متن السعير بلا محال: أي أنه ينصب يوم القيامة على متن جهنم، ثم يؤمر الناس بالمرور عليه، وهو أدق من الشعر وأحد من السيف.

قوله: فناج سالم من كل شر: قسم من المارين على الصراط تكون لهم السلامة والنجاة، أكرمنا الله سبحانه وتعالى أجمعين بأن نكون من الناجين السالمين في ذلك اليوم العصيب.

قوله: وهاو هالك للنار صال: أي القسم الآخر تكون حالهم -والعياذ بالله- الهوي والسقوط في نار جهنم.

وقد جاء في الحديث المتفق على صحته، قلنا: يا رسول الله: وما الجسر؟. قال: (مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة تكون بنجد يقال لها: السعدان. يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا)، فهذا كله حق، دلت عليه النصوص الصحيحة الثابتة.

ويقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: (اجتماع الجيوش): إن مشيهم على الصراط في السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرعهم سيرًا هنا، أسرعهم هناك، وأبطؤهم هنا، أبطؤهم، وأشدهم ثابتًا على الصراط المستقيم هنا، أثبتهم هناك، ومن خطفته كلاليب الشهوات والشبهات والبدع المضلة هنا، خطفته الكلاليب التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه ها هنا، فناج مسلَّم، ومخدوش مسلَّم، ومخردل -أي مقطع بالكلاليب- مكردس في النار، كما أثرت فيهم تلك الكلاليب في الدنيا، جزاء وفاقًا، {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦].

*** المتن ***

وتؤمن بالقضاء خيراً وشراً *** وبالمقدور في كل الفعال
وأن النار حق قد أعدت *** لأعداء الرسول ذوي الضلال
بحكمة ربنا عدلًا وعلمًا *** بأحوال الخلائق في المآل
وأن الجنة الفردوس حقًا *** أعدت للهداة أولي المعالي
بفضل منه إحسانًا وجودًا *** وتكريمًا لهم بعد الوصال

*** الشرح ***

قوله: وتؤمن بالقضاء خيرًا وشرًا، وبالمقدور في كل الفعال: أي الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الأمور كلها بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً} [الأحزاب: ٣٨]، فتؤمن بالقضاء خيره وشره، حلوه ومره من الله تعالى.

قوله: في كل الفعال: أي في كل ما يفعله العبد من طاعة ومعصية، كفر وإيمان، هداية وضلال، وغير ذلك، كل ذلك بقدر، فتؤمن بذلك، وأن الأمور كلها بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، كما جاء في الحديث: (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى).

قوله: وأن النار حق قد أعدت، لأعداء الرسول ذوي الضلال: أي نؤمن أن النار مخلوقة وموجودة، وقد قال الله تعالى: {وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران: ١٣١].

قوله: بحكمة ربنا عدلًا وعلمًا، بأحوال الخلائق في المآل: ودخولهم للنار بحكمة ربنا، وعدل لأنه لا يظلم أحدًا، وعلم منه سبحانه وتعالى بأحوال الخلائق في المآل، فأعد لأهل العصيان والكفر والتكذيب بأنبياء الله ورسله، أعد لهم تبارك وتعالى النار.

قوله: وأن الجنة الفردوس حق، أعدت للهداة أولي المعالي: أعدها الله سبحانه وتعالى لأولي الهداية والاستقامة، ومعالي الأمور.

قوله: بفضل منه إحسانًا وجودًا وتكريمًا لهم بعد الوصال: أي بعد وصالهم بالمحافظة على طاعة ربهم وملازمة عبادته، وقد قال الله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣].

*** المتن ***

وكل في المقابر سوف يلقى *** بلا شك هنالك للسؤال
نكيراً منكراً حقاً بهذا *** أتانا النقل عن صحب وآل
وأعمالاً تقارنه فإما *** بخير قارنت أو سوء حال

*** الشرح ***

في هذه الأبيات الثلاثة يتكلم –رحمه الله تعالى– عن أحوال الناس في القبور، {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ} [عبس: ٢١]، فنؤمن بأن الإنسان في المقابر حين يقبر سوف يلقى بلا شك هنالك للسؤال نكيرًا ومنكرًا.

قوله: بلا شك هنالك للسؤال، نكيرًا منكرًا: أي لا شك ولا ريب أنه سيلقى عندما يدخل ويدرج في القبر منكرًا ونكيرًا، وهما ملكان يأتيان للعبد إذا أدرج في قبره، ويجلسانه، ويسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وسميا منكرًا ونكيرًا؛ لأنهما يأتيان على صورة منكرة غير معروفة وغير معهودة، فيأتيان بهذه الصورة، ويقال لهما: الفتّانان.

قوله: حقًا بهذا آتانا النقل عن صحب وآل: يشير إلى أحاديث عديدة منها ما ثبت في الصحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن العبد إذا وضع في القبر، وتولى عنه أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، آتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟. فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعدًا من الجنة. فيراهما جميعًا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)، والأحاديث في هذا المعنى عديدة.

قوله: وأعمالًا تقارنه فإما بخير قارنت أو سوء حال: وأعمالًا: معطوفة على قوله: نكيرًا ومنكرًا. أي يلقى نكيرًا ومنكرًا ويلقى أيضًا أعمالًا تقارنه، فإما بخير قارنت، أو سوء حال، أي أن أعمال الإنسان

سيلقاها في قبره، وعمله الصالح يأتيه في قبره على صورة رجل صالح، وعمله السيء يأتي على صورة رجل سيء، ويكون مقارنًا للعبد، أي ملازمًا له في قبره، فأعمال الإنسان تأتيه في قبره، وتكون مقارنة له، وعمله الصالح نعم القرين، وعمل الإنسان السيء بئس القرين والعياذ بالله.

*** المتن ***

فيا فرداً بلا ثان أجرني *** وثبتني بعزك ذا الجلال
وعاملني بعفوك وأغن قلبي *** بفضلك عن حرامك بالحلال
ونق القلب من درن الخطايا *** ورشني من فواضلك الجزال
ولاطف باللطائف والعنايا *** ضعيفاً في جنابك ذا اتكال
وجملني بعافية وعفو *** فإن تمنن بعفوك لا أبالي

*** الشرح ***

هذه خاتمة لهذه المنظومة بهذه الدعوات العظيمات والمنجاة لله سبحانه وتعالى، والسؤال والإلحاح على الله.

قوله: فيا فردًا بلا ثان: والفرد ليس من أسماء الله، ولكن يأتي في باب الإخبار عن الله سبحانه وتعالى، وهو بمعنى الأحد، وبمعنى الواحد.

قوله: أجرني: أي أعذني وجنبني الأمور التي تسخطك، والأمور التي تفضي إلى غضبك، وحصول العقوبة.

قوله: وثبتني بعزك ذا الجلال: أي ثبتني بالقول الثابت على الحق والهدى، وفي الدعاء المأثور: (اللهم: إني أسالك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد)، وفي القرآن يقول الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧].

قوله: وعاملني بعفوك: أي مُنّ عليَّ يا رب العالمين بالعفو، وأكرمني بعفوك، فإني عبد مقصر ومذنب، ومفرط، أرجو منك يا ربي أن تعاملني بعفوك، بأن تغفر لي، وأن تتجاوز عني، وأن تصفح عن ذنوبي.

قوله: وأغن قلبي بفضلك عن حرامك بالحلال: أي يسأل الله سبحانه وتعالى أن يغني قلبه بحلاله عن حرامه، وفي الدعاء المأثور: (اللهم: اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن من سواك).

قوله: ونق القلب: أي طهره وزكه.

قوله: من درن الخطايا: أي وسخ الذنوب الآثام، فيسأل الله عز وجل أن ينقي قلبه، وفي الدعاء المأثور: (اللهم: آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها).

قوله: ورشني من فواضلك الجزال: أي ألبسني واكسني من عطاياك ومننك الجزلة العظيمة.

قوله: ورشني: أي ألبسني، مأخوذ من الريش وهو اللباس، كما في قوله: {لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً} [الأعراف: ٢٦].

قوله: فواضلك الجزال: أي عطاياك ومننك العظيمة.

قوله: ولاطف باللطائف والعنايا ضعيفاً في جنابك ذا اتكال: أي عاملني يا رب بلطفك وأنت اللطيف.

قوله: والعنايا: أي أكرمني بعنايتك يا رب العالمين بأن توفقني لما تحبه وترضاه من سديد الأقوال، وصحيح الأعمال، فإني عبد ضعيف، وعبد مفرط، ولا غنى لي عنك طرفة عين، في الدعاء المأثور، (اللهم: رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت).

قوله: وجملني بعافية وعفو، فإن تمنن بعفوك لا أبالي: أي جملني وأكرمني ومن علي بالعفو والعافية، فإنك إن مننت عليَّ بعفوك لا أبالي بعد ذلك بالأمور الأخرى، وفي الدعاء المأثور: (اللهم: إني أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي)، وهو من الأوراد التي يشرع للمسلم أن يأتي بها في الصباح والمساء.

*** المتن ***

وصلى الله ما غنت بأيك *** على الأغصان من طلح وضال
تنادي دائماً تدعو هديلاً *** حمامات على فنن عوال
على المعصوم أفضل كل خلق *** وأزكى الخلق مع صحب وآل

*** الشرح ***

هذا ختم لهذا النظم المبارك بالصلاة على النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وعلى الصحب والآل.

قوله: بأيك: الأيك هو الشجر الكثير الملتف، والواحدة منه أيكة.

قوله: طلح: الطلح شجر عظام.

قوله: ضال: السدر البري.

قوله: هديلًا: الهديل هو صوت الحمام.

قوله: فنن: الفنن الغصن المتشعب.

قوله: على فنن عوال: أي على أغصان متشعبة عالية رفيعة.

قوله: على المعصوم أفضل كل خلق: كما قال عليه الصلاة والسلام: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر).

قوله: وأزكى الخلق مع صحب وآل: أي صل عليه وعلى الصحب والآل.

وبهذا ختم -رحمه الله تعالى- هذا النظم الماتع النافع، والحمد لله أولًا وآخرًا، وله الشكر ظاهرًا وباطنًا، ونسأل الله جل وعلا: أن يغفر للناظم، وأن يرحمه، وأن يجزيه خير الجزاء، وجميع علماء المسلمين، وأن يغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وأن يجزيكم أنتم -أيها الإخوة الكرام- خير الجزاء على هذا الجلوس، وعلى هذا الاستماع، أسال الله أن يتقبل منكم أجمعين،

وأن يثيبكم على ذلك عظيم الثواب، وأن يجعل هذا المجلس في ميزان حسناتنا أجمعين، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم، على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

والله أعلم.